مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، نصف سنويّة دوليّة محكّمة،
السنة التاسعة، العدد الثامن والعشرون، خريف وشتاء ١٣٩٧هـ. ش/٢٠١٩م
صص ٤٥- ٦٤
DOI:10.22075/lasem.0621.3855

الذات الشاعرة في شعر بشر بن أبي خازم

(دراسة نصّية)

غيثاء قادرة*

الملخص:

يقوم البحث بدراسة الذات الشاعرة في شعر بشر بن أبي خازم، وهي الذات الحاضرة في التجربة الشعرية، الذات التي تعالت على أناها الواقعية في معايشتها واقعاً نفسياً وموضوعياً. ويسعى البحث إلى إبراز ما تستبطنه صور الذات الفنية من أبعاد ودلالات تؤكد ثقافتها المقدَّمة في نسق يلخص صراعها مع مكونات الوجود.

تعتمد الدراسة —في بعض جوانبها–العلاقة الجدلية بين الذات الشاعرة والآخر، واستجلاء مدى أثر الآخر في الذات. فالحديث عن الذات يشكل جزءًا من حديث الشاعر ونظرته إلى الآخر، وهذا ما اتضح من خلال الوقوف على صورتي: الذات المستَلبة في حالات الفقد والعجز، والشعور بالفناء المحيط، والذات الموجودة في حالتي القوة والتخطي.

كلمات مفتاحية: الأنا، الذات الشاعرة، بشر بن أبي حازم، التجربة الشعريّة.

* – أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية، الجوال: ٠٩٣٣٣٤٣٨٢٥
تاريخ الوصول: ١٣٩٥/٠٢/١٦هـ.ش= ٢٠١٦/٠٥/٠٥م تاريخ القبول: ١٣٩٥/٠٥/١١ هـ.ش= ٢٠١٦/٠٨/٠١م

المقدّمة

مازال التراث الشعري القديم ميداناً خصباً قابلاً للبحث والاستنطاق، والكشف عمَّا استبطنت صوره من فكَر وعبر. ورغم تعدد الجهود النقدية التي ارتادته، آثرنا ارتياد هذا التراث من نافذة الذات الشاعرة في نصوص من شعر بشر بن أبي خازم، والتعرف إلى مااستغلق منها في بنية النص اللغوية.

نبتغي من هذه الدراسة إبراز ما يباطن الذات من مضمرات نسقية تشكل ثقافتها القائمة على تناقضات الوجود الإنساني؛ إذ يقدم نص بشر بن أبي خازم الشعري الذات وعلاقتها بالآخر في حدود التضاد تارة، والتماهي والوئام تارة أخرى، فالآخر هو المرآة التي قد تجلى فيها وعي الذات بذاتها.

أمّا **المنهج المتبع**، فهو منهج الدراسة النصية القائم على تحليل النص، والغوص في مكنونات صور الذات الشاعرة، واستكناه أبعادها ومضامينها، معتمدين بعض معطيات المنهجين الاجتماعي والنفسي، مستعينين– أيضاً– بالنقد الثقافي في سعينا إلى فك مضمرات صور الذات الشاعرة المتعددة الرؤى والمفاهيم وصولاً إلى ثقافة الذات الشاعرة وعالمها البارز منه، والمخفي.

ينطوي نسق الذات الشاعرة بنوعيها :الحاضرة والغائبة على دلالتين: ظاهرة ومضمرة، ما يؤكد شعرية الصورة، وقدرتها على إبراز البعد النفسي الدلالي للذات الشاعرة.

والحديث عن الذات ودلالاتها يقود إلى الحديث عن الآخر وأبعاده؛ فقد يشكل الآخر مرآة الذات تارة، وند اً لها تارة أخرى، بوصفه يكمن في فضاء الذات الوجودي، ومفارقته تشكّل تحدياً له، وربما شعوراً بالعدم.

فعلاقة الذات مع الآخر ضرورة وجودية؛ يقول سارتر: "الآخرون هم أساساً الأهم فينا، كي نتعرف على ذاتنا"[١]، ويقول أيضاً: "أنا محتاج إلى الآخر لأكون ما أنا عليه"[٢].

الذات لغة ومعنى

تتفق معاجم اللغة العربية على تعالق مفهومي (الذات) و (النفس) أو (العين)[٣]، أي: ذات الشيء نفسه وعينه، حقيقته، وجوهره، وأصله، وقد تطلق الذات – أيضاً– على الماهية أيضاً باعتبار الوجود[٤]. والماهية: حقيقة الشيء، أو سماته الخاصة التي تميزه عن غيره من الأشياء.

---

[١] عبد الله عازار، **الآخر حسب سارتر وظاهرية ميرلوبونتي**، ص١٠٦.

[٢] **المرجع السابق**، ص١٠٨.

[٣] علي بن محمد علي الجرجاني،**التعريفات**، ص١٤٣.

[٤] جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ص٥٧٩.

وفي المعجم الوسيط :"الذّات: النفس والشخص"[١]، وتثنية ذات":ذواتا، وجمعها :ذوات، والمذكر منها :ذو، أي صاحب، وجمعه ذوو. "[٢]

أما الذات اصطلاحاً : فهي " التنظيم المنسق والدينامي لصفات الفرد الجسمية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية حسب تجليها للآخرين ".[٣] أي هي جوهر المرء،وحقيقته. يقال–مثلاً– :ذات قيمة: صاحبة أهمية كبيرة. وإنكار الذات: يعني تضحية المرء وإيثاره.واكتشاف الذات: معرفة الذات وفهمها. و دراسة الذات: هي دراسة حقيقة المرء نفسه. ويقال في الأدب: نقد ذاتي؛ أي رأي الذات الناقدة وانفعالاتها.

الأنا والذات:

تلتقي الذات والأنا في المعنى والمبنى؛ فالأنا: الجانب الواعي من الشخصية الإنسانية، وقد تكون حلقة وصل بين ذات الفرد ومحيطه الخارجي، فـ" الأنا سابقة على الذات، تنشأ مع الإنسان بعد مرحلة الطفولة غير المدركة، وعندما يصل إلى مرحلة التفكير بمتطلبات مجتمعه حينها يتحول من مرحلة (الأنا) إلى مرحلة (الذات)"[٤].

الأنا– إذن– ذات تنفتح على الآخر بعد أن تدرك ماهيتها، و علاقتها بالآخر تشمل جوانب الحياة بمختلف ميادينها. فهي "مركز الأفكار والأعمال التي تؤقلم الإنسان في محيطه، وتحقق رغباته، وتحل النزاعات المتولدة عن تعارض رغباته" [٥]. والذات قسمان؛ ظاهر وباطن،ماظهر من حال المرء وما خفي منه. ولا تدرك الذات بعيداً عن الآخر؛ فكلتاهما وسيلتان مهمتان لتفسير الحالة الإنسانية في مستوييها الداخلي والخارجي، في تماهيها مع الآخر، واختلافها معه.

الذات الإنسانية والذات الشاعرة:

الذات الإنسانية هي الأنا الحاضرة، المفكرة،والمدركة حقائق الحياة، هي الذات المتفاعلة مع العالم الخارجي. وذات الشاعر : "هويته الشخصية،مابه يكون الشاعر ذاته، أي شاعراً بعينه، وليس أي شاعر،

---

[١] إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، مادة (ذات).

[٢] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ذات).

[٣] د .أسعد رزق، **موسوعة علم النفس**،.ص١٤٨.

[٤] أنس شكشك، **أسرار الشخصية وبناء الذات**، ص٣٠.

[٥] جبور عبد النور،**المعجم الأدبي**، ص١٣٦.

أي مقومات وجوده الواقعي أو الموضوعي، بوصفه إنساناً متميزاً موهوباً، أو بوصفه كائناً اجتماعياً تنهض فيه إمكانية التفرد، فهو يحيا عضواً في جماعة إنسانية ينتمي إليها، لكنه لا يزال ذاتاً منفردة،لها عالمها الخاص"[١]. فذات الشاعر: ماهيته وحقيقته التي تعيش الواقع، تتقبله، أو ترفضه، وقد تتمرد عليه.

أمّا الذات الشاعرة، فحاضرة في فضاءات النّصّ الشّعريّ، هي ذات عاشت التصدّع الوجودي، وعانت الفقد والضياع، تعالت على أناها الواقعية؛ لتغدو " ذاتاً وجودية أو رؤياوية؛ لأنّها تقول الرؤيا، لا الرؤية عبر إمكانات القول، وهي نتاج علاقة جدلية مركبة بين الأنا والعالم من جهة، والأنا واللّغة من جهة ثانية، ولذلك؛ فهي مزيج من ذات الشاعر وذات الشعر،من الداخل والخارج، والخاص والعام، الذاتي والموضوعي، الوعي واللاوعي،عالم الرؤية وعالم الرؤيا، المرئي و اللامرئي، المعلوم والمجهول، ضرورات الجسد وإمكانات الروح،المتناهي واللامتناهي"[٢].

ينبني بحثنا على حالتين للذات الشاعرة : حالة الاستلاب الوجودي المعيش، وحالة الإحساس بالوجود.

أ– الذات الشاعرة المستَلبة :

تمدُّنا تجربة بشر بن أبي خازم الشّعرية بقرائن تؤكّد استلاب ذاته بفعل واقع مفروض، تعود أهم أسبابه إلى الفقد الذي خلّف ضياعاً في الحياة.

١– الذات الفاقدة :

فقدت الذات الشاعرة في رحيل رمزوز الوجود الخصبَ، والجمالَ، وأكدت ذلك في تصويرها استلاب جمال الحياة ومكامنها بفعل رحيل شطر مهم جداً من حياتها، وذلك في قول بشر بن أبي خازم[٣]:

تعنَّى القلبَ من سَلمى عَناءُ فما للقلبِ مذْ بانُوا شفاءُ
هُدُوءاً ثمَّ لأياً ما استقلُّوا لوُجْهتهم وقَد تَلَعَ الضُّحاءُ

---

[١] عبد الواسع الحميري،**الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية**، ص١٢.

[٢] **المصدر نفسه**، ص١٩.

[٣] **ديوانه**،١–٢، تعنّى :أُتعبَ، أشقى، بانوا: رحلوا بعيداً، اللأي : الإبطاء والصعوبة، استقلَّ: ارتحل، تلع الضحاء: طلع وارتفع، آذن بالأمر: أخبر به وأعلن عنه، ظعنوا: ارتحلوا، الإدبار: الذهاب والرحيل، الجهل: الخفة والطيش، الحمول: ما يحمل على ظهر البعير من هودج ونحوه، محلَّم: نهر بالبحرين، العون :جمع عوان، وهي المرأة في منتصف عمرها، العين: جمع عيناء وهي المرأة الواسعة العينين، السدر: شجر النبق، وضاء: ناصعة البياض.

وآذنَ أهـلُ سلمى بارتـــحالٍ فما للقلـبِ إذ ظَعَنـوا عَـــزاءُ
فلمَّا أدبروا ذَرَفَتْ دُمُوعي وَجَهلٌ من ذوي الشَّيبِ البُكاءُ
كَأَنّ حمولَهُـم لمّا استقلُّـوا نَخيـلُ محلِّمٍ فيهـا انـحنـاءُ
وفي الأظعانِ أبـكارٌ وعُـونٌ كعِيـنِ السِّـدرِ أوجُهُهَا وِضَـاءُ

تقوم شعرية الأبيات على تضاد نسقي بين الذات المستلبة الوجود بفعل فقد الآخر، والذات الساعية إلى الوجود في بحثها عن الخصب والحياة، و المسافة بين المستَلَب والموجود هي المسافة بين مضمر النص وظاهره. تقايس المسافة بين ذات الشاعر المستسلمة، المعنَّاة، المأزومة المريضة (القلب)/ فما للقلب مذ بانوا شفاء/ والذات الساعية إلى النهوض من واقع الاستسلام / أبكار وعون كعين السدر.../.

تختصر عبارات /تعنَّى القلب عناء، ما للقلب مذ بانوا شفاء، فما للقلب إذ ظعنوا عزاء/ معاناة الذات الشاعرة، جراء الفقد. ويمثل القلبُ المعنّى، فيها المستَلَبة السلامَ والسلامة، والوصالَ فبدت مكلومةً، فاقدةً الحب والأمان، المجتمعين في الآخر،/ سلمى/، وما استتبع رحيلها من عذاب نفسي. ففي تكرار لفظة **القلب** غير مرة تأكيد أهمية القلب الذي يمثِّل الذات الشاعرة في أحاسيسها وفي ردود أفعالها. يضاف إليه **العين** التي ما انفكّت تذرف الدموع حزناً ولوعةً لتجاري القلب الملتاع ألماً وفقداناً.

وفي استبطان أعمق للنصّ يتبدّى لنا سيطرة اليباب الوجودي على الذات الشاعرة /فلمَّا أدبروا ذرفت دموعي، وجهلٌ من ذوي الشيب البكاءُ/ لدى رحيل **أهل سلمى** في مواكب محمَّلة بمصادر الخصب والجمال والحياة؛ فالراحل ليس /سلمى/ فحسب، إنما ذووها،/أهل سلمى، أدبروا، حمولهم/، فهم/نخيل محلَّم، وأبكارٌ/، أشبه بالنخيل، رمز الخصب والثبات، وبعين السدر رمز الإشراق والضياء؛ وفي ذلك تأكيد فقدِ الذات الشاعرة مقومات والحياة برحيلهم.

تبدأ عملية الاستلاب التي تجسدت في هذا النصّ بما تفيض به الذات من قهر سببه رحيل الآخر؛ للبحث عن الوجود في مكان آخر؛ إذ يؤكد المعجم اللغوي لمشهد الرحيل تأزّم الذّات الشاعرة بسبب فقد الأحبة، فلا يواسيها مواسٍ، ولا يفيها حقَّها من إحساس الفقد وافٍ، /فما للقلب إذ ظعنوا عزاء/.

تتكثف الدلالة في الفعل /تعنَّى/ وتتفاعل مصورة أبعاد الألم، ومعاني الإعياء، والكد والجهد، وعدم القدرة على الاستقرار الذي تعيشه الذات الشاعرة المعنَّاة. ونتلمَّسُ في وصف الشاعر مشهد النساء الراحلات بكل تفصيلاته، ابتداء من /كأن حمولهم...، وفي الأظعان أبكار وعون../ دخولهن الهوادج، مروراً بوصف جمالهنَّ، فهنَّ ساحرات الطَّرف، جميلات العيون، مشرقات، نضرات، سامقات كالشجر،

وانتهاءً بأنين قلبه لفقدهن، وحلولَ الجفاف برحيل الخصب؛ كيف لا؟ ومن بين الراحلات **سلمى** التي يأخذنا اسمها إلى عوالم افتراضية تصلنا بمعاني السلم، والسلامة، والسلام المفقود برحيلها.

وقد تحمل الصورة التي ترسمها الذات الشاعرة لحركة الظعائن مدلولاً آخر؛ ولا سيّما أنها مرتبطةٌ بالحالة النفسية للذات الآملة بعودة الرحَّل؛ فقد يضمرُ مشهدُ النساء الراحلات الباديات كشجر النخيل الأخضر العالي الكثيفِ الخصبَ والحياةَ والعطاءَ والأمان الذي تحلم به الذات الشاعرة في سعيٍّ منها إلى تبديد الحيف الذي طالها بفعل الفقد؛ قد ترمز تلك الصورة إلى التحدي، وشيء من تجاوز حس العذاب والفراق. فالنخيل مدلول خصب وحياة واستمرار يناهض عوامل الفناء واليباب والرحيل، وفي استحضار الذات الشاعرة،/ عينِ السدرِ أوجهها وِضاءُ/، نتلمَّسُ بحثها عن الأمل والضياء في مناهضتها عالم الظلام النفسي المعيش بفعل الفراق؛ وهنا يكمن المضمر النصي.

وتؤدي الألوان/الأبيض– الشيب، والأخضر– شجر النخيل، والأصفر– أوجهها وضاء/ دوراً وظيفياً فاعلاً للكشف عن مضمر الذات الشاعرة، وخلق صورة فنية تفصح عن رؤيتها؛ إذ تعكس هذه الألوان توق الشاعر إلى حس الوجود هروباً من دمار الفقد؛ فالأبيض إيذان بإشراق النفس بعد استلاب، والأخضر توق إلى الخصب في ظل يباب مفروض وتصحر نفس، أما الأصفر فإشراق مبتغى.

قد يكون بإمكاننا استشفاف مكامن الذات الشاعرة، واستبطان رؤيتها في إثر موقف الوداع،وما استتبعه من مشقة فقد الخصب والسلام والسلامة وفقد النور، على الرغم من سعيها إلى استنهاض الحياة من جديدة؛ إذ تعمل ذات الشاعر الفاقدة — في بعض الأحيان– على خلق إمكانات إبداعية تتحدى من خلالها عملية القهر المكاني لها، مصورة الإصرار على الثبات أمام عوامل الاستلاب؛ فيغدو طموحها التغلب على سلبية المكان، وإقامة علاقة تصالحية بينه وبين مفرداته. ففي المكان تسعى الذات إلى تحقيق مطامحها على الآلام متجاوزة رؤيا سوداء؛ فقوة الذات الشاعرة تسطو على قوة الآخر السالِب، وتصبح الذات عنصراً منفعلاً لا فاعلاً، حاضراً في الحياة لكنه ليس محرّكاً لها.

٢–الذات المغتربة:

الغَرْبُ: الذهاب، والتنحي عن الناس، والغَربةُ والغَربُ: النَّوى والبعدُ، والتغريب: النفي عن البلد، والتَّغَرُّب: البعد، الغُربة والغُرب: النزوح عن الوطن والاغتراب"[١]. وفي المخصّص لابن سيدة :"الاغتراب:

[١] **لسان العرب** (غرب).

افتعال من الغربة، أغربته: غرَّبته ونحَّيته"[١]. وانطلاقاً من هنا باستطاعتنا إيجاز الغربة بمفهومين: غربة النفس وغربة الجسد، وكلاهما مبعث استلاب طالَ الذات الشاعرة في اغترابها.

عاشت الذات الشاعرة في إثر بُعدِ الآخر غربة فغدت ذاتاً مأزومة؛ ففي المكان الفاقد مكوّنات الوجود يتكثَّف الزمان فتغترب الذات المودِّعة؛ وتنشج أحرّ آهاتها ولوعة غربتها في صور فنيّة تعكس معاني الانهدام الإنساني الذي حل بالذات الشاعرة التي بكت الحاضر محاولةً التخفيف –ما استطاعت – من حدة الاغتراب المعيش. يقول بشر بن أبي خازم:[٢]

تغيَّرَت المنــازلُ بالكَثيبِ وعَفَّى آيَها نســجُ الـجنُوب
منازلُ من سُلَيمى مـقـفراتٌ عَفَاها كُلُّ هَطَّالٍ ســكُوبِ
وقَفْتُ بِها أسائلـُها ودَمـْعِي على الخدَّينِ في مثلِ الغُرُوبِ
نأتْ سلمى وغيّرَها التّنائِي وقد يَسْلو المُحبُّ عن الحَبيبِ

تقرّ الذات الشاعرة بعفاء الديار وتغيرها، وتقف معلنةً غربة ذاتية طال أمدها بسبب رحيل الآخر؛ إذ تعزّز المفردات /تغيرَّت المنازل/ عفَّى آيها/ منازل مقفرات/ عفَّاها/ مفهوم الغربة الذاتية بفعل فقد مَن كان له كبير الأثر في حياتها والحضور.

يضعنا هذا النّصّ منذ بدايته أمام صورة الذات المغتربة، الشاهدة على تقلّبات الدهر عليها، وما حلّ بها؛ إذ تعلن الذات الشاعرة غربتها في آهاتها و دموعها المسفوحة على زمن جميل حمل في أطوائه الخصب والألفة والسلام، وخلَّف حاضراً مقفراً يتنازعه السكون /منازلُ من سليمى مقفراتٌ/، تعيش في إثره الذات الشاعرة اغتراباً عن عالم الاستقرار تشي به ال/منازل/ الخاوية التي تتكرر مؤكدة غربة الذات.

يمثل إقرار الذات الشاعرة بالاقفرار، والوقوف، والتساؤل /وقفتُ بِها أسائلُها ودمعي..... تغيرت.../ الشرارة الأولى لاغتراب الذات الشاعرة ودهشتها التي يزيدها شمولية الفناء الكامن في صورة المطر /عفاها كُلُّ هطَّالٍ ســكوبِ /، إذ تستوعب لفظة/هطَّال/ القوة التدميرية الكامنة في السيل المدمّر، ما يعزّز حالة الطمس الوجودي المسيطر على واقع الديار وحال الاغتراب.

---

[١] ابن سيده، **المخصّص** (غرب).

[٢] **ديوانه**، ص٢٠، الكثيب : ما اجتمع من الرمل، الآي: العلامات والآثار، الجنوب: الريح الجنوبية، الهطال: المطر الغزير المنسكب، الغروب: جمع غرب وهو الدلو العظيمة.

تختصر عبارة /وقد يسلو المحب عن الحبيب/ غربة الذات الشاعرة عن قلبها المعنّى، فالفعل /يسلو/ يباطنه البعد، وإهمال الآخر للذات إهمالاً متكرراً ما ألَّم الذات الشاعرة، وغرَّبها عن ذاتها، ففي بعد الحبيب غربة قاسية، وإن خففت الذات الشاعرة من وطأتها بالفعل /يسلو/ إلا أن أثرها السلبي عميق في النفس.

وقد يكون أحد الممكنات الإبداعية التي يستبطنها النص الشعري هو موازاة قدرة السيل المدمّر القدرة الكامنة في أعماق الذات المغتربة المتطلعة إلى تدمير واقع مجدب قاحل حاولت بالدموع تبديد يبابه، وتأكيد الخصب ما أوتيت من قدرة. فالذات الشاعرة تصارع من أجل البقاء رغم ما يحيط بها من عوامل الاستلاب، وتبدو مدركة حتمية استلاب الوجود وضياعه، ساعية إلى تخطي الواقع المعيش، منطلقة من لحظة الموت إلى محاولة التجاوز، لتنتهي إلى لحظة معاناة تمثل لحظة مخاض أخرى للحياة.

٣–الذات الفانية:

الفناء: نقيض الحياة، وهو فقدان الشيء، وإحساس الذات بالتناهي والموت. وعلى الرغم من مقاومة الذات الشاعرة استلاب الطبيعة والمجتمع، أحست بعقم هذه المحاولات أمام قوة الزمن بمختلف تجلياته النفسية والفيزيائية والمكانية.

وفي نظرة استسلام وخضوع الذات الشاعرة يؤكِّد بشر بن أبي خازم حتمية الفناء، الذي ينتظر الذات بنوعيها– الشاعرة وغير الشاعرة – في رثائه أخيه سمير الذي قتله شراحيل بن الأصهب الجعفيّ[١]:

أمْسَى سُمَيرٌ قَدْ بانَ فَانقَطَعا يا لَهْفَ نَفْسي لِبَيْنِهِ جَزَعـا
كانَ لـنا بـاذِخـاً نـَلوذُ بِـــهِ أَمسَى رَماهُ الزَّمانُ فاتَّـــضَعا
وكلُّ نفسٍ امرئٍ وإن سَلِمَتْ يوماً سَتَحْسُو لِمِيـــــتَةٍ جُرَعـا
لِلـَّهِ درُّ القُبورِ ما حُشِـــيَتْ أَرْوَعُ شِـــبْهَاً لِلْبَـدْرِ إِذْ سَطَعا
أَيَّتُـها النَّفْسُ أَجْمِلي جَزَعـا إِنَّ الذي تَحـْذَرِيْنَ قَد وَقَعَـــا[٢]

[١] **ديوانه**، ص١٢٣–١٢٤، بان :ذهب وابتعد، الجزع: الرهبة وشدة الخوف، الباذخ: العالي العظيم، نَلوذُ :نحتمي، اتَّضع: مات أو خضع وذل، تحسو: تشرب، الجُرع :شرب القليل من الماء، لله دره: دعاء، الأروع : الرجل الجميل الذي يروعك حسنه، أجملي: اعتدلي واصبري.

[٢] ينسب هذا البيت لأوس بن حجر أيضاً، وورد في **ديوانه**، تحقيق: محمد يوسف نجم، ص٥٣.

أجلى حوار الذات الشاعرة مع ذاتها حجم المعاناة والصراع الداخلي بفعل الاستلاب الواقع عليها. فالموت في نظر بشر قوة مسيطرة لا تجاريها قوة، وما عليه إلا أن يذعن صاغراً مستسلماً لمصيره الذي تتقاذفه أمواج الدّهر المرعب بلا رحمة ولا شفقة، ففي رثائه أخاه (سميراً)، يرثي ذاته مستسلماً لتيارات القدر، مؤكداً حتمية الموت فالفراق والبين والانقطاع فالجزع.

تتزاحم المترادفات الدالة على حالة الاستلاب الوجودي، وتتعاقب في (أمسى – بان – انقطعا) أفعال حمَّالة لمعنى البين والفقد، وتبيان هول واقعة الفراق. فقد أثار فعل التحول الزمني (أمسى) فزعاً داخلياً من تهاويل الفقد والفجيعة، فالذات قبل استلابها كانت حاضرة تعيش وصالاً، أما بعد الاستلاب فحلَّ فيها البين والانقطاع، فأمست/ أمسى رماه الزمان فاتضعا/ الذات مستسلمة لريب الزمان وهيمنته.

تتكثف الدلالة في عبارة/ يالهف نفسي لبينه جزعا/ لتؤكد ضياع الذات الشاعرة وحيرتها بسبب الفقد،كما تستبطن عبارة/ وكل نفس وإن سلمت ستحسو.../ الإقرار بفناء كل نفس، وإن قاربتها السلامة، فهي لن تدحر ما ينتظرها من مرض وموت ملمّين بالذات الشاعرة.

يضمر النص إقرار الذات الشاعرة بمصيرها، وانحنائها انحناء الخاضع لانتصار الموت، ما يؤكد مقدرة الشاعر في توظيف الطاقة الإيحائية للمفردة والتركيب من خلال التعبير عن عمق الإحساس بالفناء؛ إذ ينطوي النص على إحساس الذات الشاعرة بأن الموت النهاية الحتمية للوجود البشري، بعد أن تفاقم قهرها واستفحل عجزها، وانعدمت إرادتها وقوتها على التأثير والخلاص من عذابها. لقد استولت فكرة الموت على الذات الشاعرة التي وقفت أمامها مذهولةً فزعةً قلقةً.

٤– الذات العاجزة

أدركت الذات الشاعرة حقيقة هزيمتها أمام الزمن، بوصفه القوة القادرة على الإهلاك، لا رادَّ له ولا صادَّ؛ وهل أقسى على الذات من السلبية والتصدع، و العجز أمام زمنها الحاضر؟ فالذات العاجزة مشهد دال على تحول الإنسان من مرحلة الحيوية إلى مرحلة استلاب الذات شبابها؛ وفرض الضعف حضوره السالب و سلطة الزمن البادية في رسم معالم العجز.

إن تجربة العجز التي تخوضها الذات الشاعرة تتفهم قضايا الحياة من منطق القدرة والحركة، وتستدعي التنبه إلى أن فقدان الشباب لا يقل خطورة عن الموت؛ إذ إن حياة الذات الشاعرة التي تقوم على الفعل، تواجه مشاق الحياة وتحدياتها، وصعابها من خلاله.

وفي مجال الصراع بين صورتي الذات العاجزة والآخر القادر يتضاد الشاعر مع الزمن، فإمّا أن يهرب إلى الماضي، وإمّا أن يثبت و يواجهه. يقول بشر متألماً متحسراً على ماضٍ كان فيه قوياً:[١]

أَجَدَّ مِنَ آلِ فاطِمةَ اجتِنَابَا وَأَقْصَرَ بعْدَ ما شابَتْ وشَابَا

وشَابَ لِداتُهُ وعَــدَلْنَ عنَهُ كما أبْليْـتَ منْ لُبْــسٍ ثِيــابا

ويقول أيضاً:[٢]

فَإِنْ يَكُ قد نَأتْنِي اليومَ سَلْمَى وَصَدَّت بَعدَ إلفٍ عن مَشِيبي

فَقد أَلهُــو إذا مَا شِئْــتُ يَوْماً إلى بَيْـضَاءَ آنِســةٍ لَــعُــوبِ

يختصر الفعلان/ أجد–أقصر/ تأزم الذات الشاعرة، ومعاناتها بحلول الشيب وأثره في تحويل العلاقات الإنسانية وتصدعها، كما يؤكد تكرار وترداد عبارات/ شابت– شاب/ حلول الشرخ وقطيعة الذات الآخر بفعل التحول الذي حل بالذات، من القوة إلى الضعف، ومن المواجهة إلى الخضوع والاستسلام! فالذات الشاعرة في حال انهدام واستلاب تقصر عن الوصال، بعدما/ شابت وشابا/، قصراً يستتبعه قهر تتصاعد وتيرته في امّحاء رمز الخصب والجمال والسلام /فاطمة/.

تتنامى فاعلية التعالق بين معاني الأفعال/ أَجَدَّ، أَقْصَرَ، عَدَلْنَ، أبْليْـتَ/ لتكوين حركة داخلية نفسية تؤكد توتر الذات الشاعرة، وما تضمره في عجزها من نزوع إلى الوجود الكامن في الفتوة والشباب، نزوع قادت إليه نفس سعت إلى تجاوز ألم العجز ولحظة انكسار إرادة الذات أمام الآخر الذي/ شاب لداته وعدلن عنه/؛ فالذات هنا تسترجع زمنها الماضي وتستذكر حتمية الفراق، مستشعرة حركية الزمن الذي يبدو –وكأنه – ينفد ويمرّ بصورة أسرع من زمن الآخرين. ففي قوله/ نَأتْنِي اليومَ سَلْمَى وَصَدَّت بَعدَ إلفٍ عن مَشِيبي/ تتضاد الذات الشاعرة مع الزمن الذي تواجهه بحيلة العودة إلى الماضي بعد أن أكدت عجزها بفعل رفض الآخر/سليمى/ النائب الصّاد. فسليمى رمز السلام والأمان المسلوب من وجود الذات الشاعرة/ نأتني، صدت/، الباعثة على تصوير أبعاد الألم والعجز الذاتي.

قد يحتّم الآخر على الذات الاستسلام والرضوخ لإرادته بوجود الأمل، فما زالت فسحة الرجاء موجودة، نتلمّسها في رغبته بالهروب من واقعه؛ واللجوء إلى الذكريات هروباً من مرارة الواقع. تتأكد حالة

---

[١] **ديوانه**، ص٣١، أجدَّ: بمعنى جدد، أي أحدث معهم اجتناباً جديداً، أقصر: كفَّ وامتنع، اللدات: جمع لدة وهو الترب والصديق من سن واحدة .

[٢] **ديوانه**، ٢٠–٢١،إلف:آلفته فترة من الزمن، الآنسة: الفتاة التي يؤنس إلى حديثها وحضورها، اللعوب: ذات الغنج والدلال.

العجز الذي أدركته الذات الشاعرة أمام تيار الزمن الغالب في بحثها عن سبل إنقاذ من واقع مرير، ومواجهة الزمن بالذكريات، "لقد استنجد الشاعر بالزمن الماضوي لكونه استراتيجية فاعلة يواجه بها واقعه في لحظة الضعف والعجز أمام مفردة الزمن/ الشيب. فهو يحاول جاهداً التعلل بثقافة الماضي ليغيب نفسه عن مشهد الحاضر، ويتماهى كذلك مع ذلك الماضي لكي يتناسى حالة القطيعة التي أحدثتها تحولات الزمن"[١].

لا معنى لوجود الذات بمعزل عن الآخر، فوجوده مهم في وجودها، ودوره أشبه بدور المحيط إزاء المركز. لقد عايشت الذات الشاعر جدلية الموت والحياة ونظرت إليها نظرة استسلام وخضوع، يجليها مشهد الشيخوخة، والضعف؛ فعلاقتها مع الزمن علاقة تضاد، وعلاقتها مع المرأة- بفعل الزمن- علاقة تضاد، وهي في حيرة وضياع أوديا بها إلى المواجهة والتحدي التماساً للوجود منتهجة سبلاً، ترى نفسها من خلالها، وترى الآخر في نفسها أيضاً، وهذا يقودنا إلى التعرف على الذات الشاعرة الموجودة أو الساعية إلى الوجود من خلال الآخر.

ب-الذات الشاعرة الموجودة:

شغلت الصراعات الإنسانية فكر بشر، فاستشعر -بوعيه الشعري- مرارة الفقد؛ فكل لحظة تمر هي- في نظره- هزيمة للحياة وانتصار للفناء؛ لذا أخذ باستشراف المستقبل إدراكاً لكُنه الحياة واستكشافاً لماهيتها.

فقد فرضت حاجة الذات الشاعرة نمطاً من الخيارات، أهمها القوة الجسدية التي تمدُّها بتقدير ذاتها، والتخطي والتجاوز لعالم الاستلاب، تعرفاً على الهوية الذاتية.

١- الذات القوية:

حين تنعدم سبل المواءمة بين الذات والآخر، وتتباعد الرؤى، وتتباين الغايات، ويتكثف الإحساس بالحيف والأذى يحق للذات الشاعرة – آنذاك - أن تؤسس لها انتماء جديداً عبر القوة، فالقوة وسيلة الذات الشاعرة لتلمسها الحرية، وبقدر ما تبذل الذات في سبيل رسالتها يتحقق وجودها.

[١] يوسف عليمات، **جماليات التحليل الثقافي**، ص١٧٥.

وقد وجدت الذات الشاعرة عند بشر بن أبي خازم في قوتها الجسدية المترائية في يومي النسار والجفار جسر عبور إلى عالم الوجود، بوصفها محمّلة قوّة كبيرة ردّاً على مفاعيل الزمان في مواجهة الضعف. يقول في ذلك[١]:

فَسَائِلْ بِقَــومِي غَداةَ الوَغَى إذا ما العَذارى جَلَوْنَ الخِدَامَا
وَكَعْـباً فَسَائِـلْــهُمُ والرِّبـابَ وَسَائِلْ هَـوَازِنَ عـنَّـــا إذا مـا
لقِينـاهُمُ كَيـْفَ نُعْلِيــهِـمُ بَوَاتِرَ يَفـرْيْنَ بَـيْضــاً وَهَـــامَـا
بِـنا كيفَ نقْتَصُّ آثــارَهُـمْ كَما تَسْتَخِفُّ الجَنُوبُ الجَــهاما
على كُلِّ ذِي مَيــعَةٍ سابِــحٍ يُقَطِّــعُ ذو أَبْهَـرَيْهِ الحــزِامـا
ويومُ النِّسارِ،و يومُ الجِـــفا رِ، كانــا عَــذاباً، وكانــا غَرامـا
فَأَمَّا تَميــمٌ، تميــمُ بـنُ مُـرٍّ، فَألفــاهُـمُ القَـومُ رَوْبَـى نِــيامـا
وأَمَّا بَنــو عامــرٍ بِالنّــسارِ غَــدَاةَ لَقــُونا فَكـانـوا نَعـامـا
نَعاماً بِخَطْمَةَ صُــعْرَ الخُدو دِ، لا تُطْعَـمُ الـمـاءُ إلَّا صــيامـا

تحضر الذات الشاعرة في صور القوة الجسدية التي تعتمد حركة الآخر وفعله/هم/ لقيناهم، نعليهم، نقتصُّ آثارهم..../ في إطار سعيها لشقّ طريقها في عالم الوجود. تقابل قوة الذات/ نحن/ قوة الآخر/ هم/ في صراع يستبطن عالماً ذاتياً متَّسماً بروح التحدي والقدرة. ولعل جنوح الشاعر إلى فعل الأمر في بداية النص الشعري يقود إلى إظهار عجز الآخر وضعفه /فَسَائِلْ بِقَومِي غَداةَ الوَغَى/ في دلالته إثبات القدرة الذاتية وتمكينها، ففعل الأمر مثير الانتباه، لافت النظر إلى جلال الذات وجميل فعالها،/غَداةَ الوَغَى/ في زمن تُجلَى فيه قوة الذات وتحديها، وفي إلحاحها على سؤال الآخر /كَعْب والرِّبابَ وهَوَازِنَ/

[١] **ديوانه** ١٨٨– ١٩١سائل بقومي: اسأل عنهم يوم الوغى، الخدام: جمع خَدمة وهي الخلخال، جلون الخدام: كشفن عن الخدام عند التشمير، كعب: حي من بني عامر، الرباب: عدة قبائل، وهي تيم وعدي وهكل ومزينة وضبة، هوازن قبيلة من قبائل قيس عيلان، نعليهم بواتر: نضربهم على رؤوسهم بالسيوف، يفرين: يقطعن، البيض: جمع بيضة وهي الخوذة، الهام: الرؤوس، نقتص آثارهم: نتتبعهم ونطاردهم، تستخف: تطرد وتسوق، الجهام: السحاب الذي لاماء فيه، ذو ميعة: فرس في أول جريه ونشاطه، يقطع....الحزاما: جنبيه منتفخان عظيمان، فإذا وثب قطع حزامه لانتفاخ جنبيه، الأبهر: عرق مستبطن الصلب، يوم النسار ويوم الجفار :من أيام العرب، الغرام: أشد حالات العذاب والبلاء، روبى: جمع رائب وهو الرجل الذي فترت نفسه واختلط رأيه وأمره، كانوا نعاما: انهزموا وفروا مسرعين كالنعام الشارد، خطمة: اسم موضع، صعر الخدود: مرتفعة الرأس مائلة الأعناق، صياماً: قياماً، واحدها صائم: زهو الفرس القائم على قوائمه الأربعة من غير علف.

عن مدى شجاعتها، و إظهارها الرؤية اليقينية المبنية على المشاهدة /لقِينَاهُمُ كَيْفَ نُعْلِيهِمُ بَوَاتِرِ يَفْرِيْنَ بَيْضـاً وَهَامَا،نقْتَصُّ آثارَهُمْ، يقطّع.../ ليس إلا تأكيد قوتها بحثاً عن أسباب الشعور بالذات.

تؤكِّد الأفعال المضارعة سعي الذات الشاعرة إلى الاستمرارية في تحدي الآخر، وديمومة الانتقام منه بكسر السكون وإحقاق الفعل الذي به تعود الروح إلى الجسد. فالذات الشاعرة لا يتحقق وجودها–هنا– إلا بتغييب الآخر،/تميم وبنو عامر..../، وإفنائه.

وتتجلى موضوعة الصراع من خلال صور الذات التي تصنع عالمها الذاتي بإزاء عالم الآخرين. فالذات الشاعرة مفتونة بنفسها، لا تكاد تلتفت عنها، ويتكشف هذا من خلال هيمنة ضمير المتكلم على المقطع الشعري الذي يجسد القدرة على تحقيق التعالي على الآخر و الانتماء إلى الذات؛ إذ يضمر خطاب الذات الشاعرة للآخر وجوداً محققاً لها؛ مكانه ساحات الوغى، وزمانه بُعيد الوغى،/ويوم النسار ويوم الجفار، لقِينـاهُمُ نُعْلِيـهِمُ،نقْتَصُّ آثـارَهُـمْ، على كُلِّ ذِي مَيـعَةٍ سابِـحٍ/. إنه إعلاء مفرط لصورة الذات البعيدة عن الآخر بعداً إرادياً؛ لأنه "كلما زادت الأنا عشقاً لذاتها قلت أمامها فرص التواصل مع الآخرين، وعلى هذا فإنه كلما زاد المجتمع رفضاً للأنا تشبثت الأنا بذاتها، وازدادت تمركزاً حول نفسها، وفي هذا يتفاقم التضاد بين الفرد والمجتمع، وبذلك نواجه رفضاً مزدوجاً، رفض المجتمع لإنسانية الفرد أي استلابه وتغريبه، ورفض الفرد للمجتمع بالمقابل"[١].

تتكئ الذات الشاعرة على أسماء المكان والعلم لإثبات مصداقيتها، وإيهامنا بواقعية قوتها مع إظهارها عجز الآخر وتقهقر قواه أمام قوتها.

يمثل عالم القوة مدخلاً مهماً لإثبات تميز الذات الشاعرة، ووسيلة لإظهار جمال فعلها مقابل ضعف الآخر في صور تؤدي دوراً واضحاً في إبراز براعة الذات في فنون التعذيب والتقتيل الواقع على الآخر.

إنّ البعد الجمالي الذي تمنحه صورة الذات يفتح المجال أمامنا للتحليق في مدلول هذه المعاني، ففي تضمين الصور هذه الإشارات اختزال لصورة الذات الشاعرة الباحثة عن وجودها في وجوده؛ فهي لا تستطيع أن تستشعر قوتها ووجودها إلا من خلال فعلها المقترن بفعل الآخر، ومن خلال استحالة انسلاخ الذات عن الآخر،/كانوا غراما، نياما، نعاما/ الذي من خلاله تُفرّغ الذات انفعالاتها المكبوتة، وتحاول أن تثبت نفسها وتسترد قيمتها وحريتها المسلوبة. يتراءى لنا من هذا السياق الشعري ذات الشاعر المستعلية مقابل الآخر، في لجوء منها إلى استعراض إمكاناتها الجسدية والنفسية، وإن تتبع الدلالة

[١] يوسف اليوسف، **مقالات في الشعر الجاهلي**،٣١.

النفسية لإثبات انتصار الذات الشاعرة يؤكِّد مقدار التفوق الذي بلغته هذه الذات، وبمبالغة تجلت في انتقال الشاعر من التعميم إلى التخصيص؛ من استعراض جميل الفعال، والتأكد منها سواء في المستقبل أو الحاضر إلى تسمية الأيام والوقائع /يوم النسار ويوم الجفار، تميم وعامر، كانوا نعاما وكانوا غراما/، وهو ما يدلُّ على الاتحاد والتداخل بين الذات الشاعرة الحاضرة بقوة والآخر الغائب الحاضر– في آن معاً–بقوة أيضاً، ما يعمق حالة الذات الشاعرة.

لقد انطلقت الذات الشاعرة في رؤيتها المزدوجة لوجودها الذاتي من رفضها الآخر بوصفه عقبة في طريقها لبلوغ ذلك المجد والرِّفعة.

ولعل من أبرز ملامح التعبير عن الذات المتفردة في شعر بشر تصويره تميُّزه وفرديته، وأناه المنفصلة عن مقومات وجودها الاجتماعي من خلال الاعتداد بالنفس،ومنح الذات معاني القوة والمنعة، ما يوحي بالضعف الذي تضمره الذات الشاعرة؛ إذ إن فخر الذات على الآخر ليس إلا تعويضاً عما تفتقده الذات من قوة.

تكشف هذه الأبيات جدلية العلاقة بين الذات الشاعرة والآخر؛ إذ لا يمكن أن تظهر صورة الذات الشاعرة إلا من خلال الآخر، "فالترابط المباشر الذي يوجد الذات والوجود الخارجي، إنما يتحقق بالفعل الذي يخلق على الذات معناها، ويكشف عن قيمتها ويؤكد وجودها،فالفعل مظهر الوحدة والفكر والإرادة"[١]. تندفع الذات الشاعرة بكل ما تستطيع لتثبت فاعليتها ووجودها، والحل الوحيد عند الشاعر الجاهلي هو "أن يتحدى بقوته المفردة صروف الدهر، وأن يبذل كل جهده في استنزاف كل قطرة من الحياة قبل أن تنتهي انتهاءها الأبدي"[٢].

يبدو بشر بن أبي خازم وكأنه يرغب في رسم صورة ذات شاعرة منتصرة للحياة، ساعية إلى الوجود، متفوقة على عناصر الفناء.

٢–الذات المتخطية:

التخطي سبيل الذات الشاعرة لولوجها عالم البقاء، وجسر عبور إلى المنشود، متحدية الصحراء. والصحراء مساحة التخطي وميدان تداخل الزمان والمكان. استشعر الشاعر في فيافيها الفناء، وفي اتساعها الابتلاع.كانت الناقة ركناً أساساً من أركان التجاوز، واختراق المتاهات، و النفوذ إلى الأعماق تحدياً آكام الطريق،وحَزْنه، حتى بدت النّاقة ذاتاً شاعرة تجوب عالماً جليلاً، عالم فناء معيش، عالم تفتقد الذات

[١] زكريا إبراهيم، **مشكلة الحرية**،،١٤٨.

[٢] محمد النويهي، **الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه**،٤٢٦/١.

الشاعرة فيه الأمان، هذا ما يظهره بشر بن أبي خازم في لوحته التي يتخطى فيها الفناء سعياً إلى عوالم الوجود[١]:

وخَرْقٍ تَعْزِفُ الجِـنَّانُ، فيهِ فَيـافِيهِ يَـطيـر بِهـــا السّـــهَامُ
ذَعَرْتُ ظِباءَهُ، متـعَوِّراتٍ إذا ادَّرَعَتْ، لوامِعَها، الإكامُ
بِذِعْلِبَةٍ، بَرَاها النَّصُّ، حـتَّى بَلَغْتُ نُضَارَها،وفَـنَى السَّنامُ
كَأَخنَسَ، ناشِطٍ، باتَتْ عليهِ بِحَرْبَةَ لَيْـلَـةٌ،فـيها جَـهامُ
فَباتَ يقولُ :أَصبِحْ،ليلُ!حتَّى تَجلَّى،عن صَريمَـتِهِ، الظَّلامُ
وأَصبَحَ ناصِلاً، منها، ضُحيًّا نُصُولَ العقدِ، أسْلَمهُ النِّظامُ

يتعمق الإقفار الزماني والمكاني الذي تتسم به المتاهة في قوله: /خرق تعزف الجنان فيه، فيافيه يطير بها السهام/؛ فهي ذاتٌ قاسية رامزة لدهر مضِلّ، ذات منغمسة في بؤر ضياع، ساكنة سكون الموت المواجه ضجيج الحياة التي أُمِّلت في صلابة الناقة الشبيهة ثوراً، المشكِّلة ذاتاً عابرة إلى عالم القوة.

تتكثف الدلالة،/تعزف، يخرُّ،.../ على معاناة الذات الشاعرة في صورة الثور الباحث عن وجوده مدفوعاً إليه بالضرورة،من ألم الواقع المعيش، فالذات تطمح إلى تجاوز الواقع هروباً من غياهب الليل. يصعّد فعل الأمر /أصبحْ/ مع المأمور /ليل/ المعاناة التي بلغت ذراها بفعل ظلام ليل في صحراء يقتات جفافُها الذاتَ الشاعرة، وتطيح بها ريحُها، وتصم آذانها أصوات وحوشها، واقتناص كلاب الصيد جسدها في غفلة من الزمن.

لقد وعت الذات نفسها في وعيها الآخر، فسعت إلى التجاوز،وإلى الردّ على ثبات الصّحراء وعنادها باجتياحا، والسيّر فيها بحرية.

يغدو الفعل أساساً في مواجهة عبثية الحياة، ويبرز سعي الثور فعلاً للخروج من السلب إلى الإيجاب. فكشفَ المدلولُ رغبةَ الذات في زعزعة الضعف لبناء الوجود.

---

[١] **ديوانه**، ٢٠٣-٢٠٥،الخرق: الفلاة الواسعة تنخرق فيها الرياح، تعزف:تصوّت، الجنان: الجن، السّهام: شيء أبيض يسقط من السماء، أي تهب بها رياح شديدة التأثير حارة. اللوامع: ما يلمع من السراب، الإكام: الجبال الصغار، أي رب مفازة بهذه الصفة قطعتها، بركوبها، وأفزعت وحوشها، لبعد عهدها بالإنس. متعورات: نصف النهار، ذعلبة: ناقة سريعة، النص: شدة السير، النضار: الخالص، الأخنس: الثور، الناشط: الذي خرج من بلد إلى بلد آخر، حربة: موضع، الجهام: سحاب قد هراق ماؤه، صريمته: رملته التي كان فيها، تجلى عن صريمته: تكشف الظلام، ناصلاً : خارجاً من ليلته،كما ينصل العقد،أي يقطع خيطه، النظام:الخيط الذي ينتظم الجوهر.

كانت الناقة/الثور الوحشي ذاتاً أخرى، تعادل الذات الشاعرة في فنيَّتها، وفي صراعها نسق الفناء، وفي انتصارها على قوى الشر المتمثلة بكلاب الصحراء وغيرها؛ لذا فلا عجب أن يجعل الشعراءُ الثورَ منتصراً دائماً في معاركه، ما خلا بعض شعراء قبيلة هذيل الذين أنهوا حياة الثور، في معركة صراع الحياة والموت، في قصائد الرثاء. وتسعى الذات الشاعرة– إذن– إلى النفوذ في أعماق المتاهة، تحدوها الرغبة في إثبات الذات القوية.

اتخذ الشاعر من عبور نسق الفناء –الصحراء –على الناقة رمزاً لانتصار الذات على ما يواجهها من قهر واستلاب.

كان تجاوز الذات الشاعرة حواجز الزمان والمكان، وتخطيها آكام الدرب ولوجاً عالم الوجود واضحاً بعد رحيل المرأة– سلمى– رمز السلام، في قوله[1]:

وما تذّكَّرُ من سلمى، وقد شَحطَتْ ... في رَسمِ دارٍ ونـؤْيٍ غيـرِ معتَرَفِ
كأنَّ سْلمى غَداةَ البينِ إذ رحلتْ ... لم تَـشْتُ جاذلـةً فيها ولم تَصـفِ
فَسلِّ همَّكَ عن سلمـى بِناجِـيةٍ ... خَطَّـارةٍ تَغتلي في السَّبْسَبِ القَذَفِ
وجناء مُـجْفَرَّةٍ الجَنـبَينِ عاسِفةٍ ... بِكُلِّ خَـرْقٍ مخـوفٍ غَـيرِ مُعْتَسَـفِ
هذا وإن كُنتُ قَد عَرَّيـتُ راحِلتي ... من الصِّبا، وعَـدَلْتُ اللَّهوَ لِلخَـلفِ
فَـقـد أَراني بِبـانقيـاءَ متَّـكـئاً ... يسعى وليـدانِ بِالحـيتـانِ والرغُف
وقهوةٍ تُنْشِقُ المُستامَ نَكـهَتُها ... صَهْبَاءَ صَافيةٍ مـن خَمـرِ ذي نَطـفِ

تتأسس هذه الأبيات على جدلية صراع يقودها طرفان؛ الأول: الفناء الذي تمثِّله الأطلال الشاهدة على ماضٍ اكتنفه الجمال والأمان والسلام، وحاضر اعتراه الاستلاب، والثاني: القوة الذي تقوده ناقة قوية،تشكل جسر عبور لواقع الاندثار. تشكل الناقة قناعاً للذات الشاعرة التي تواري خلفها الضعف، متخطيةً فجوة التَّوتر–الصّحراء، رمز الشَّر، مشكلةً سبيلاً تعبر عليه إلى عالم القوة. فهي /ناجِـيةٍ،

[1] **ديوانه** ١٥٧–١٥٩، شحطت: بعدت، النؤي: حفرة حول الخيمة يدفع عنها مياه السيل ويبعده، غير معترف: غير معروف، لم تشت: لم تمض فصل الشتاء، جاذلة: فرحة مسرورة، لم تصف: تمضي فصل الصيف، الناجية: الناقة السريعة، الخطارة: تخطر بذنبها يمينا وشمالا من شدة النشاط، السبسب: الأرض القفر البعيدة، القذف: البعيد. وجناء: تامة الخلق، مجفرة: عظيمة، العاسفة : التي تمر على غير هداية، فتركب رأسها في السير، الخرق: الفلاة الواسعة، غير معتسف: غير مقطوع، بانقياء: اسم مكان طيب الخمر، الحيتان: الأسماك، الوليدان: غلامان، القهوة: الخمر، المستام: السائل عن الثمن، ذطف، قرط في الأذن .

خَطَّارةٍ.../، تتصف بصفات القوة والصلابة، والسرعة، وصفات تؤهلها لتخطي الغربة النفسية والمكانية؛ فتبدو معالم الإحساس بالذات واضحةً في صور التحدّي، وتذليل العقبات، فقوله، مثلاً: /فَسلِّ همَّكَ عن سلمى بِناجِيةٍ/، يؤكد تخطيها صعاب مسلكها، وصولاً إلى تسلية الهمّ؛ لتغدو الذات الشاعرة حرّة من كل همٍّ وسقم .

ونظرة أكثر عمقاً تمكننا من الكشف عن مكنونات الذات الشاعرة وهواجسها في هذا المشهد، /عاسِفةٍ بِكُلِّ خَـرْق/ إذ تجسد القدرة والتفوق اللذين يردمان هوَّة واسعة بين نسقي الاستلاب والحياة المرتجاة؛ إذ تستوعب عبارة /عاسفةٍ/ الهمَّ والقسوةَ اللذين يجهد الشاعر في سبيل الخلاص منهما، فهو إذ يُمضي الهمَّ الكامن الذي سبَّبه إحساسه بنقص الواقع وافتقاره إلى أساس الوجود.

تكتنز اللوحة ملامح القوة والصلابة أملاً في الثبات، وهنا تتجلى أهمية الناقة؛ فهي مسلاة الذات الشاعرة، منفِّرَةً لهمومها في تشكيل يتجه بصورة واضحة صوب ملامح الضخامة والصلابة، وهنا يتعزز مفهوم التجاوز المبدع للضعف والاستسلام.

ويُقَدَّم العنصر الخمري على أنه ملاذ الذات الشاعرة من بؤر الاستلاب، من خلال اكتناز فكرة ابتداء الحياة بفعل اقتنائها /أراني../، إذ تختصر ياء المتكلم الذات الشاعرة التائقة إلى تلمس أوجه الحياة، والاتّكاء على سبلها، عبر الخمر؛ فهي ملجأ الذات الشاعرة، تعمل على تغييبها عن مرارة الواقع تغييباً مؤقتاً، فهي/قهوةٍ، صهباءَ صافيةٍ/ تعكس في صفائها توق الذات الشاعرة إلى عالم الصفاء هروباً من سواد معيش.

٣– الذات المثال:

ارتبط فعل الذات الشاعرة بمفهوم القيمة؛ بحثاً عن الخلود في ذاكرة الجماعة، فـ"عندما يصنع الشاعر هذه القيمة فإنه يحاول جاهداً أن يجعلها ذات وظيفة إحلالية استبدالية لثبات النسق الاجتماعي وجموده، فالفعل يضحي حياة للذكر من جهة وتخليداً للإنسان بعد موته من جهة ثانية؛ لذا فإن فعل الكرم يغدو عنصراً فاعلاً في مواجهة الفناء وقهر الزمن"[١].

[١] يوسف عليمات، **جماليات التحليل الثقافي**، ص٥٨.

تقف الذات الشاعرة، في سعيها إلى المثالية، بإزاء الآخر موقف المتعالي من جهة، وموقف المنتمي إليه من جهة أخرى، ملتمسة في الوقت ذاته أهمية وجودها الفردي في عالم استلبت فيه ذاتها. ففي قصيدة يمدح فيها بشر بن أبي خازم عمرو بن أم إياس "من ملوك كندة ". يقول[١]:

فَإلَى ابْنِ أُمِّ إياسَ عَمْرٍو أَرْقَلَتْ رَتْكَ النَّعَامَةِ فِي الجَدِيبِ السَّبْسَبِ
بَحْرٍ يَفِيضُ لِمَنْ أَنَاخَ بِبَابِهِ مِنْ سَائِلٍ،وَثِمَالِ كُلِّ مُعَصَّبِ
وَلَأَنْتَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ غَالَهَا حَذَرٌ، وَأَشْجَعُ مِنْ هَمُوسٍ أَغْلَبِ
الحَافِظُ الحَيَّ الجَمِيعَ إذا شَتَوْا وَالوَاهِبُ القَيْنَاتِ شِبْهَ الرَّبْرَبِ
وَالمَانِحُ المِئَةَ الهِجَانَ بِأَسْرِها تُزْجَى مَطَافِلُهَا كَجَنَّةِ يَثْرِبِ
ولَرُبَّ زَحْفٍ قَدْ سَمَوْتَ بِجَمْعِهِ فَلَبَسْتَهُ رَهْواً بِأَرْعَنَ مُطْنِبِ
بِالقَوْمِ مُجْتَابِي الحَدِيدَ كَأَنَّهُم أُسْدٌ على لُحُقِ الأَياطِلِ شُزَّبِ

يحضر مفهوم البقاء بقوة مناهضاً مفهوم الفناء، فحركة الذات الشاعرة الساعية إلى إثبات وجودها تتساوق وحركية الآخر الذي يشكل امتداداً للذات الشاعرة، أو بديلاً كنائياً عنها، فالآخر /ابن أم إياس/ ذات تبطل في حركتها مفعول السكون والاستكانة سعياً إلى الإحساس بالذات.

تسيطر على النص أجواء الحركة والفعل للآخر محققاً– عبر فنية النص– تنقلات خاطفة تتيح له الحضور في أي ظرف يكون فيه، فهو/بَحْرٌ/ أَشْجَعُ مِنْ هَمُوسٍ/ و/الحَافِظُ، وَالوَاهِبُ، وَالمَانِحُ/.قد تلتقي صفات العطاء، مع الشجاعة في الكشف عن فكرة السمو وبلوغ أعلى درجات المثالية التي تطمح إليها الذات الشاعرة وتجسدها في الآخر، الكريم العاطي الواهب...؛ في صور حافلة بالفروسية وصولاً إلى التفرد والمثالية حيث تتصاعد حدّة التوتر الجمالي، وتتكثف الدلالة في مشاهد قوة الجسد والنفس.

---

[١] **ديوانه**،٣٨–٣٩، أرقلت: أسرعت في سيرها، الرتك: سير سريع مع تقارب الخطا، الجديب: القفر، السبسب: الأرض القفر البعيدة، بحر: جواد كالبحر، الثمال: الملجأ في الشدة والمطعم في الحاجة، المعصّب: الفقير يشتد عليه الجوع فيعصب بطنه، غالها الحذر: أتاها الضيق من حيث لم تدر، الهموس: من أسماء الأسد يهمس في الظلمة، أي يمشي مشياً خفياً فلا يسمع صوت وطئه، الأغلب: الأسد القصير الرقبة، الجميع: المجتمع، شتوا :حل بهم الشتاء، الربرب: القطيع من الظباء أو الحمر الوحشية، الهجان من الإبل: البيض الكرام العناق، تزجى: تساق، المطافل: الناقة ذات أطفال، جنة يثرب: بساتين النخيل، الزحف: جماعة مقاتلين، الرهو: الساكن والسريع، الأرعن : الجيش العظيم المضطرب، المطنب: الذي لايرى آخره و لايعرف تعداده، مجتابو الحديد: لابسوه، الأياطل: الخواصر، اللحق :جمع لاحق وفرس لاحق الأيطل، الشزب: جمع شازب أي ضامر.

لقد ولّد شعور الذات الشاعرة بمأساة المصير الإنساني رغبة في الرد على هذا المصير بمبدأ الفروسية بمختلف ضروبها، لذا كان على الذات أن تغتنم هذه الفرصة بالقوة النفسية والمادية.

تعتمد لغة الأبيات فكرة الذات الشاعرة الحاضرة في صورة الآخر، فالذات تبحث عن وجودها ردّاً على اليباب الذي مارسه الزمن عليها؛ فإصرارها على العطاء من جهة وتصوير شجاعتها من جهة أخرى محاولة جادّة لإثبات وجودها في مثاليتها.

يسعى الشاعر إلى أن يوحد بين ذاته والآخر في جعله الآخر امتداداً لذاته التي تعاظمت، حتى غدت رمزاً للفتوة والفروسية والبحث عن الحرية.

النتيجة:

بيَّن البحث أهمية الآخر للذات ومكانته. فقد تجلَّى الآخر في الذات، وحمل كلاهما وجهين متناقضين؛ الاستلاب و الحياة. لقد انضوت الذات الشاعرة تحت راية الآخر الذي أزَّمها رحيله، وحمَّلها دلالات نفسيّة، عكست الماضي والحاضر بما يحملان من معاني الهدم. وكان سبيل الذات الشاعرة لمواجهة هذا الاستلاب استحضار الذكريات علَّها تعيد إنتاج الزمن و توازن الحاضر.

إن تجربة العجز التي خاضتها الذات الشاعرة تتفهم قضايا الحياة من منطق القوة والقدرة والحركة، وتستدعي التنبه إلى أن فقدان الشباب لا يقل أهمية عن الموت؛ فحياة الذات الشاعرة التي تقوم على الفعل تواجه مشاق الحياة من خلاله، وبهذا يغدو الشباب ضمانة الحياة.

أظهر البحث أن ما باطنته الذات الشاعرة عكس ما أظهرت، فكان سعيها إلى خلق إمكانات إبداعية تتحدى من خلالها عملية القهر المكاني لها، مصورة الإصرار على الثبات أمام عوامل الاستلاب؛ فغدا طموحها التغلب على استلاب المكان، وإقامة علاقة تصالحية معه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. إبراهيم، زكريا، . **مشكلة الحرية**، الطبعة الثالثة، دار مصر للطباعة، ١٩٧٢م.

٢. ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، تنسيق وتعليق: علي شيري، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان:١٩٩٢م.

٣. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، **المخصّص**، تحقيق : خليل إبرهم جفّال، الطعة الأولى، دار الحوار للتراث العربي، بيروت، ١٩٩٦.

٤. الأسدي، بشر بن أبي خازم، **ديوانه**، الطبعة الثانية، تحقيق: د.عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة،١٩٧٢.
٥. الجرجاني، علي بن محمد علي، **التعريفات**، تحقيق وتقديم : إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دارالكتاب العربي، ١٩٨٥.
٦. حسن الزيات، عبد القادر، علي النجار، مصطفى– أحمد، حامد، محمد، إبراهيم، **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثالثة، طباعة دار المعارف بمصر، ١٩٧٣م.
٧. الحميري، عبد الواسع، **الذات الشاعرة**، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،١٩٩٩.
٨. رزق، أسعد، **موسوعة علم النفس**، الطبعة الأولى، إعداد ومراجعة :عبد الله عبد الدايم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧.
٩. السليماني، أحمد ياسين، **التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر**، الطبعة الأولى، دار الزمان، دمشق، سورية، ٢٠٠٩.
١٠. شكشك، أنس، **أسرار الشخصية وبناء الذات**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.
١١. صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، مجمع اللغة العربيّة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، مصر، ١٩٨٣.
١٢. عبد النور، جبور، **المعجم الأدبي**، الطبعة الثانية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤.
١٣. عليمات، يوسف، **جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجاً**، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤.
١٤. فرويد، سيجمند، **الأنا والهو**، تحقيق: محمد عثمان نجاتي، الطبعة الرابعة، بيروت، القاهرة: دار الشروق ١٩٨٢م.
١٥. فيدوح، عبد القادر، **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٢.
١٦. النويهي، محمد، **الشعر الجاهلي " منهج في دراسته وتقويمه** "، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة.
١٧. اليوسف، يوسف، **مقالات في الشعر الجاهلي**، الطبعة الثانية، الجزائر: دار الحقائق، ١٩٨٠.

المقالات:

١٨. عازار، عبد الله، **الآخر حسب سارتر وظاهرية ميرلوبونتي**، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد (٨٦-٨٧)، ١٩٩١.

ذات شاعر در شعر بشر ابن ابی خازم

غیثاء قادره*

چکیده:

پژوهش حاضر به بررسی ذات شاعر در شعر بشر ابن أبی خازم می‌پردازد، ذاتی که در تجربه شعری نمود پیدا می‌کند، ذاتی که از لحاظ همزیستی با واقعیت درونی و منطقی بر من حقیقی سبقت می-گیرد. این پژوهش به دنبال بیان تصاویری از ذات هنری شاعر از جنبه‌ها و زوایایی است که فرهنگ خود را با سبکی نشان دهد که نمایانگر جدال و درگیری ذات شاعر با عوامل هستی می‌باشد. این پژوهش در برخی از جنبه‌های خود بر مبنای ارتباط مجادله‌گونه بین ذات شاعر و دیگری بنا نهاده شده و در صدد تصویرگری میزان اثرگذاری دیگری بر ذات شاعر است. سخن از ذات و درون بخشی از سخن شاعر و دیدگاهش نسبت به دیگری است، و این همان چیزی است که در خلال درنگ بر دو تصویر یکی ذات مسلوب شده در حال عجز و ناتوانی و دیگری احساس فقدان محیط و نیز ذات موجود در دو حالت توان و ضعف بنا نهاده شده است.

کلیدواژه‌ها: من، ذات شاعر، بشر ابن ابی خازم، تجربه شعری.

* – استادیار گروه زبان و ادبیّات عربی، دانشگاه تشرین، لاذقیه، سوریه، تلفن: ۰۰۹۶۳۹۳۳۳۴۳۸۲۵

تاریخ دریافت: ۱۳۹۵/۰۲/۱۶هش= ۲۰۱۶/۰۵/۰۵م تاریخ پذیرش: ۱۳۹۵/۰۵/۱۱ هش= ۲۰۱۶/۰۸/۰۱م

The Self of the Poet in the Poetry of Bashar-ibn- Abikhazem

Ghaiythaa Khadraa, Assistant Professor, Tishrin University, Syria.

Abstract:
The present study aims to investigate the poetic self or personality in the poetry of Ibn-e- Abikhazem, a self which is manifested in his poetic experience and surpasses the actual self in terms of compatibility with personal and rational realities. The research seeks to provide images about the artistic self of the poet which reveals the conflicts in his struggle to exist. The study is partly based on the dialectical relationship between the poetic self and other selves and tries to portray their effect on the poetic self. This relationship is manifest itself when one reflects on two pictures: one a helpless and desperate self which feels powerless and the other a self, vacillating between empowerment and weakness.

Keywords: Bashar-ibn-Abikhazem Poetic Experience, Poetic Self, Self.

The Sources and References:

-The Holy Quran.
1- Ibrahim, d. Zakaria, the Problem of Freedom, 3rd Edition, Misr Printing House, 1972 AD-
2 -Ali Mansour, Jamal al-Din, San'a al-Arab, Coordination and Commentary: Ali Shiri, Second Edition, Arab Heritage Revival House, Arab History Foundation, Beirut, Lebanon, 1992-.
3-The son of his master, Abulhassan Ali Ben Ismail Andalusi, ad hoc, investigation: Khalil Ibrahm Jafal, the first gift, Dar Al-Hwarwar Arab Heritage, Beirut, 1996
4-Asadi, Bishr bin Abi Khazem, Diwan, second edition, investigation: Dr. Azza Hassan, publications of the Ministry of Culture, 1972.
5-Al-Jarjani, Ali bin Muhammad Ali, Definitions, Investigation and Presentation: Ibrahim Al-Abiari, First Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1985
6-Hassan Al-Zayyat, Abdel-Qader, Ali Al-Najjar, Mustafa-Ahmed, Hamed, Muhammad, Ibrahim, The Medieval Dictionary: Arabic Language Complex in Cairo, 3rd edition.
7- Al-Humeiri, Abdul Wassa, Self-Poet, First Edition, University Institution for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, 1999.

8-Rizk, Asaad, Encyclopedia of Psychology, First Edition, and Prepared and reviewed by: Abdullah Abd Al-Dayem, Arab Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 1987.
9-Sulaymani, Ahmed Yassin, Artistic Representations of the Relationship of the Ego to the Other in Contemporary Arab Poetry, First Edition, Dar-Zaman, Damascus, Syria, 2009.
10-Shakshak, Anas, Secrets of Personality and Self - Building, Dar Al - Kitab Al - Arabi, Beirut, Lebanon, 2009.
11-Saliba, Jamil, Philosophical Dictionary, Arabic Language Complex, General Authority for Printing Press, Cairo, Egypt, 1983.
12-Abdel Nour, Jabbour, Literary Dictionary, Dar al-Ilm for millions, Beirut, Lebanon, second edition, 1984.
13-Alimat, Youssef, Aesthetics of Cultural Analysis, Pre-Islamic Poetry as a Model, First Edition, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2004
14-Freud, Sigmund, ego and ego, investigation: Mohamed Osman Najati, Dar al-Shorouq Beirut, Lebanon, Cairo, fourth edition, 1982
15-Fadouh, Abdelkader, the Psychological Trend in Criticizing Arabic Poetry, Publications of the Arab Writers Union, Damascus: 1992.
16-Nuwayhi, Muhammad, pre-Islamic poetry "curriculum in the study and evaluation," the National House of Printing and Publishing in Cairo.
17-Yusuf, Youssef, Essays on Pre-Islamic Poetry, Second Edition, Dar al-Haqqat, Algeria: 1980-.

Periodicals and magazines:

18-Azar, Abdullah, The Other by Sartre and Dhahriya Merloponte, Journal of Contemporary Arab Thought, No. 86-87, 1991.